فقام باجراء تغييرات في وزارة الحرب من ضمنها العمل نحو تحقيق هدف « مدرسة مانشستر » الامبريالي في فلسطين ، والذي اتخذ في نهاية المطاف شكل تصريح بلفور وفرض تنفيذه مع اكتمال معالمه في العام ١٩١٧ . في تشرين الاول (اكتوبر) من العام ١٩١٦ عرض الصهاينة خططهم الاستيطانية على الحكومة البريطانيـــة ، وفي شباط (فبراير) من العام ١٩١٧ ، شرع مارك سايكس في اجراء المناقشات حول فلسطين . استمرت الجهود المبذولة للحصول على التصريح مدة ستة اشهر ، من نيسان (ابريل) حتى تشرين الثاني (نوفمبر) . ان « اوراق وزارة الخارجية البريطانية تظهر انـــه خلال الاشهر القليلة تلك جرت عدة محادثات مع الدكتو وايزمن واخرين في الحركـة الصهيونية ، كما جرت مراسلات برقية حول الموضوع ذاته مع السير مارك سايكس ، الذي كان يقيم آنئذ في القاهرة » (٩) . في حزيران (يونيو) تقدم رونالد جراهام ، وكيل وزارة الخارجية البريطاني والذي اعتبره وايزمن بانه كان ذا مساعدة فعالـــة في اصدار تصريح بلفور ، بمذكـــرة الى اللورد هارينج ، وزيـــر الخارجية البريطاني الدائم وحاكم الهند سابقا ، قال فيها انه طالما ان « مدرسة مانشستر » (لم يسمهـــا باسمها) تتعاطف مع الحركة الصهيونية وبما ان الحركة ستكون ذات منفعة في روسيه (في حال عمدت اليهودية هناك الى دعم الثورة البلشفية) ، فليعط الصهاينة « ضمانة بان حكومة صاحبة الجلالة كلها تتعاطف مع ما يطمحون اليه » (١٠) . والى ذلـــك اضاف بلفور الى محضر الجلسة : « طلبت من اللورد روتشيلد والبروفسور وايزمـــن ان يعملا على تقديم معادلة ما » . في الثامن عشر من تموز (يوليو) [تاريخ له اهمية في ذلك اليوم بالتحديد] بعث روتشيلد برسالته الجوابية :

واخيرا اجد نفسي قادرا على ارسال المعادلة التي طلبت مني . فاذا ما بعثت حكومة صاحب الجلالة رسالة تتضمن معالم هذه المعادلة ، وفي حال موافقتك عليها حين تصلك ، انا بدوري سأعمل على تحويلها الى المنظمة الصهيونية ...

١ ـ ان حكومة صاحب الجلالة توافق مبدئيا على تحويل فلسطين الى وطن قومي للشعب اليهودي .

٢ ـ ان حكومة صاحب الجلالة ستعمل قدر المستطاع محاولة انجاز هذه المهمة وستبحث عن الاساليب الضرورية بالتعاون مع المنظمة الصهيونية(١١) .

وافق بلفور على شكل هذه المقولة ، الا ان ميلز ، احد كبار مسؤولي الحركـــة الصهيونية ، اعتبر كلمتي « تحويل » و « انجاز » غير كافيتين . وحتى يبعد الشبهة عن البريطانيين بأنهم القوة الاساسية في تهويد فلسطين ، عمد الى كتابة الرد التالي المعروف :

ان حكومة صاحب الجلالة توافق مبدئيا على استغلال كل فرصة مناسبة من اجل انشاء وطن للشعب اليهودي في فلسطين ، على ان تعمل ما في وسعها لتسهيل هذه المهمة وتكون مستعدة للنظر في اية اقتراحات حول الموضوع تقدمها المنظمة الصهيونية الى اعضاء الحكومة) .

بالرغم من ان الوزير البريطاني ادوين مونتاغو لم يكن متعاطفا كثيرا مع الصهيونية، الا انه اقترح تأجيل اصدار القرار حتى يكون بالمستطاع تقدير مواقع القوى المتصارعة في الحرب . وهذا ما حدث بالفعل ، فحين اجتمعت وزارة الحرب في الرابع من تشرين الاول (اكتوبر) ، تركز برنامج عملها على النقاط التالية : (١ كانت الحكومة الالمانية آنذاك تكسب دعم الاكثرية من اليهود . (٢) كانت الحكومة الفرنسية على علم بان الرئيس الاميركي ويلسون يحظى بتأييد كامل من الحركة الصهيونية (٣) كان اللورد كيرزون يعتبر ان اعادة توطين اليهود فكرة طوباوية ويفكر بان ذلك غير عملي ابدا .